ـ ٣ ـ

ومرت ساعة أخرى ، بدأ الليل يتلفف رياحه القارسة ويذروها فوق الحقول ، نهض هالكو لاصقا ركبتيه بصدره وملقيا برأسه فوقهما ، شيء غريب !! ان البرد لم ينقص !! دماؤه تجمدت وبدلا منها هناك جليد يتدافع في عروقه ، رفع رأسه نحو السماء ليرى كم بقي من الليل ، كان نجم الدب الأكبر ما يزال في منتصف الطريق ، عندما يصبح الدب الأكبر فوق رأسه تماما يطلع الصباح ، لا يزال الوقت طويلا حتى ينقشع هذا الليل !!

قريبا من حقل هالكو كانت هناك حديقة مانجو ، هناك أكوام من الأوراق الجافة تملأ أرض الحديقة ، فكر في أن يجمعها ويشعل فيها النار ليستدفيء ، لو شاهده أحد هناك سيظنه شبحا ، ويمكن أن يكون هناك حيوان أو كلب مفترس ، لكنه لم يعد قادرا على التحمل !!

اقتلع بضعة جذور جافة من الحقل المجاور ، أشعلها وحملها في يده كمصباح ، اتجه نحو حديقة المانجو ، رآه جابرا فأسرع نحوه من وسط الحقل وجاء يهز ذيله ، قال هالكو :

ـ البرد سيقتلني يا جابرا ، تعال معي نشعل نارا في هذه الأوراق ، وعندما نشعر بالدفء نسرع الى عشتنا وننام ٠

عبر جابرا عن موافقته بالنباح وسبق هالكو الى حديقة المانجو ٠

كان الظلام هناك ثقيلا ، والريح تعوى بين الأوراق ، وقطرات الندى تتساقط من الأشجار ، وفجأة هبت ريح محملة برائحة الحناء ، قال هالكو :

ـ ما أجمل رائحتها يا جابرا !! هل أنت أيضا تشمها ؟

كان جابرا قد عثر على قطعة من العظم وراح يقضمها ، وضع هالكو الجذور المشتعلة على الأرض وبدأ يجمع الأوراق الجافة ، في لحظات كان قد جمع كومة كبيرة ، البرد يوشك أن يشل يديه ، وقدماه الحافيتان فقدتا الاحساس تماما ، همس لنفسه : (على أن أحرق البرد في هذه النار حتى أحوله الى تراب) ٠

تحولت النار التي أشعلها الى حريق ثائر ، لامست النار أغصان الشجرة القريبة ، وامتدت ألسنة اللهب الى هنا وهناك ، بدت الأشجار الضخمة كأنها تحمل على رءوسها ظلمة الليل الواسعة ، وبدا الحريق مثل قارب صغير يتقلب فوق أمواج محيط من الظلام ٠